المنار
١٣١٥
يفتي في الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب
ينشر مبادئ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر ـ الخميس ٣٠ رمضان ١٣٢٧ ـ ١٤ اكتوبر (تشرين الأول) ١٢٨٥ ـ ١٩٠٩م ﴾

ابو حامد الغزالي (*)

٦

﴿ رأيه في اثبات مذهب أهل الحق من المسلمين ﴾

« و في مذهب الباطنية اهل التعليم »

(وفيه رأيه في آيات النبوة وفي خروج المسلمين من الخلاف)

(تمهيد) كان الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين دينا واحدا والمسلمون أمة واحدة لا فرق فيهم ولا مذاهب ثم حدثت المذاهب في الاصول والفروع ووقع المسلمون فيما نهاهم الله تعالى عنه من الاختلاف والتفرق الى شيع متعددة كل شيعة منها تنتحل مذهبا ولم يضر المسلمين في دينهم ودنياهم شيء كهذا التفرق ولذلك لم يشدد القرآن في النهي عن شيء كما شدد في النهي عن الخلاف والتفرق كما بينا ذلك في تفسير القرآن الحكيم وفي مواضيع كثيرة من المنار

وكان شر المذاهب وأشأمها في هذه الامة مذهب الباطنية الذين ذهبوا الى ان للدين ظاهرا و باطنا وان الباطن منه هو الحق المراد لله تعالى وانه لا يمكن ان يعرف

(*) تابع لما نشر في (ص ٦٠١) من المجلد الحادي عشر

من النظر في الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة في الاصول وقوانين اللغة التي للألفاظ والمعاني بل لا بد في كل عصر من إمام معصوم يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قال إن الشمس والقمر في القرآن لا يراد بهما هذان الكوكبان المعروفان وانما يراد بهما فلان وفلان وجب تصديقه فلا يعارض شيء من تعليمه بمخالفة اللغة ولا العقل ولا النص ! ! !

وان لهذا المذهب بل الدين الذي ظهر بمظهر المذهب درجات في الاعتقاد ودرجات في الدعوة ليس هذا المكان بمحل لبيانها . والدرجة الاخيرة منها هي اعتقاد أن إمامهم هو الله الذي خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب (تعالى الله عما يقولون) وقد ظهروا في أطوار وتسموا بأسماء أشهرها في زمن الغزالي الاسماعيلية وكان رئيسهم يومئذ حسن بن الصباح الشهير . وآخر فرقهم المشهورة في زمننا هذا فرقة البابية أو البهائية من البابية

ما ظهرت بدعة ولا ضلالة قام بها أهل مذهب إلا ووصل الى غيرها من المذاهب شرها ، وسرى الى أهلها ضرها ، وكان أقرب الفرق الى الباطنية فرقة الشيعة لقولهم بعصمة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم الرضوان والسلام) بل كانت الباطنية في الزمن الماضي والحاضر من الشيعة كالعبيديين بمصر والبابية في فارس ، وهم ليسوا في الحقيقة من الشيعة ولا من المسلمين والشيعة تقول بكفرهم كغيرها

كذلك يشتبه مذهبهم بمذهب الصوفية الذين يقولون ان للقرآن ظاهرا و باطنا وان للدين أسرارا لا يفهمها الا الخواص ، ولكن فرقا عظيما بين الصوفية والباطنية فالغزالي الذي كان أشد العلماء على الباطنية حتى انه صنف الكتب في الرد عليهم كان صوفيا يقول ان للدين اسراراً كما سيأتي عنه في هذه الترجمة مع بيان الفصل فيه بين الصوفية والباطنية

بل ان مقلدة المذاهب الاربعة في الفقه والمذهبين الاشعري والماتريدي في الكلام وهم من اتباع أئمة أهل السنة قد سرت اليهم دعوة الباطنية الاولى فعملوا بها في الفاتحة فجعلوا أئمتهم معصومين وان لم يسموهم معصومين فبدأ التقليد عندا كثرهم ان الواجب اتباع ما ثبت في المذهب من غير بحث ولا دليل وانه لا يجوز رد شيء من

المذهب لما يظهر انه مخالف له من آية قرآنية وسنة نبوية ، بناء على ان امام المذهب وعلماءه اعلم بالكتاب والسنة فالقول مايقولونه وهو الدين الواجب اتباعه على كل أحد!

والفرق بينهم و بين الباطنية أن الباطنية تقول بامام واحد يتبع في كل شيء من الاصول والفروع وهم يقولون بإمامين في العقائد هما الاشعري والماتريدي وأربعة في فروع الاعمال كل من خالفهم يكون ضالا خارجا عن هداية الاسلام إما إلى الكفر أوالبدعة وإما إلى الفسق ! بل اوجبوا اتباع من لا يحصى عددهم من علماء هذه المذاهب وان لم يسموهم كلهم أئمة فهؤلاء مقلدة سنفافورة وجاوه يقدسون أحمد بن حجر الهيتمي و يوجبون اتباعه ديانة في كل ما دوّنه في كتبه وان خالف نص الشافعي الذي هو إمامه «ولكل قوم ابن حجر»

اذا تمهد هذا فاعلم ان أبا حامد الغزالي قد أبطل في رده على الباطنية مذهبهم والنزعات التي سرت منه الى غيرهم من أهل المذاهب الاسلامية أو ما وافقه منها وان لم يكن بالسريان ، وأبطل التقليد مطلقا كما أبطله كتاب الله وسلف الامة حتى أئمة الفقه الاربعة ومن اخذ عنهم ، وأثبت انه ليس في البشر إمام معصوم يجب اتباعه غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يمني منذ بعثته الى آخر الزمان

أحسن ما وصل الينا من كتب أبي حامد في ابطال مذهب الباطنية و يسمى مذهب التعليم كتاب (القسطاس المستقيم) وهو يشرح فيه مناظرة دارت بينه و بين أحد دعاة الباطنية وسماه بهذا الاسم لأن الباطني لما سأله بماذا يزن معرفته أبالرأي والقياس الذي جرى عليه المسلمون في الاستنباط من النصوص وهو مثار الخلاف بين الناس ، لما فيه من التعارض والالتباس ، أم بميزان التعليم باتباع الامام المعصوم؟ اجابه أبو حامد بأنه يزنها بالقسطاس المستقيم كما أمر الله في كتابه . ثم استنبط له من القرآن خمسة موازين يعرف بها الحق من الباطل في كل علم . ثم بين له ان الشيطان له موازين تضل الناس وهي طرق الوساوس والاوهام ومسارب خطأ الناس في الفهم والعلم ، ثم شرح له المقصد الذي أشرنا اليه فقال

« القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلماء أمته عن امام معصوم آخر »
« وبيان معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات »
« وأوثق منه وهو طريق العارفين »

فقال (أي الباطني) : لقد أكملت الشفاء وكشفت الغطاء وأتيت باليد البيضاء لكن بنيت قصراً وهدمت مصراً فاني الى الآن كنت أتوقع ان أتعلم منك الوزن بالميزان واستغني بك وبالقرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق في مداخل الغلط فقد أيست من الاستقلال به فاني لا آمن ان أغلط لو اشتغلت بالوزن وقد عرفت الآن لمَ اختلف الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا لهذه الدقائق كما فطنت فغلط بعضهم وأصاب بعضهم فاذا أقرب الطرق لي ان أعول على الامام المعصوم حتى أتخلص من هذه الدقائق

فقلت : يا مسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهي اما أن تكون تقليدا للوالدين أو موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا فبالضرورة يكون حاصلا عند صاحبه بقيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو لا يشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الأصلين في ذهنك التجربي والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به ومن يعرف مثلا ان هذا الحيوان غير حامل لأنه بقل عرفه بانتظام الاصلين الذين ذكرناهما في صدر الكتاب وان كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فأنت ان أخذت اعتقاد العصمة في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم تقليدا للوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان أخذته من الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقائقه فينبغي على زعمك ان لا تثق به

فقال : صدقت فأين الطريق فلقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعا قلت : هيهات راجع القرآن فلقد علمك الطريق إذ قال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ولم يقل سافروا الى الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل

مشكلة سفرا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل علمك لكن طريقك أن تتعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان أشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتفكرت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر . وهذا كما لو حسبت ما للبقال عليك أولك عليه أو قسمت في مسئلة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطأ فيطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطعا انك ما غلطت في دقيقة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهي به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بانه ما غلط ، فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلعل وعسى ولعلك قد غلطت في تقليدك لامامك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية (أي ليست بديهية معلومة بالضرورة)

فقال : لقد ساعدتني على ان التعليم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بان كل واحد لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان إلا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك فان امامي اما أن يقيم معجزة واما ان يحتج بالنص المتعاقب من آبائه اليه فأين نصك وأين معجزتك ؟

فقلت : اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني ارجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يُتعلم منه كما يتعلم مني فلا أجعل التعليم وقفا على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم أن الامام قد نعني به الذي يتعلم من الله بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد نعني به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي عليٌّ رضي الله عنه اماما فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي . أما برهاني عليه فاوضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن . فقلت ما برهانكم فقال أحدهم برهاني انه نص عليّ الكسائي استاذ المقرئين اذ نص على استاذي واستاذي نص عليّ فكأن الكسائي نص على

وقال الثاني اني أقلب العصا حية فقلب العصا حية » وقال : الثالث برهاني اني أقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري أي هذه البراهين أوضح عندك وقلبك بأيها أشد تصديقا؟ فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يخالجني فيه ريب، أما نص استاذه عليه ونص الكسائي على استاذه فيتصور ان تقع فيه اغاليط لا سيما عند طول الاسفار، وأما قلب العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس وان لم يكن تلبيسا ففايته انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن

قلت : فبرهاني اذاً أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وأفهمت وازلت الشك عن قلبك في صحته فيلزمك الايمان بامامتي كما انك اذا تعلمت الحساب وعُلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بأن استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضا في انه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصا حية بمجردها فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل ، فان التعارض في عالم الحس والشهادة كثير جدا لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيقنت ان محمدا صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت معرفتي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضرورية كمعرفتك اذا رأيت رجلا عربيا يناظر في مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فإنك لا تتمارى في انه فقيه ويقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب الف عصا ثعبانا لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيرها ولا يحصل العلم بالقرآن وبينها وبين هذه الاشياء وكونها معجزة الا بعد بحث طويل ونظر دقيق ويحصل به ايمان ضعيف هو ايمان العوام والمتكلمين فإما إيمان

ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوبية فلا يكون كذلك

فقال : فأنا أيضا اشتهي أن أعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت ان ذلك لا يعرف الا بأن توزن جميع المعارف الالهية بهذا الميزان وما اتضح عندي ان جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فهم اعلم ذلك ؟

قلت : هيهات لا أدعي اني ازن بها المعارف الدينية فقط بل ازن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير وضعي فاني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذي هو رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » وأما معرفتك بقدرتي على هذا فلا تحصل لا بنص ولا بقلب العصا ثعبانا ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك بتجربة وامتحانا فدعي الفروسية لا ينكشف صدقه حتى يركب فرسا ويركض ميدانا فسلني عما شئت من العلوم الدينية لاكشف لك الغطاء عن الحق فيه واحدا واحداً وازنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك علم ضروري بأن الوزن صحيح وان العلم المستفاد منه متيقن ومن لم يجرب لم يعرف.

فقال : وهل يمكنك ان تعرّف جميع الحقائق والمعارف الإلهية جميع الخلق فترفع الاختلافات الواقعة بينهم ؟ قلت : هيهات لا أقدر عليه وكأن امامك المعصوم الى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وازال الاشكالات عن القلوب بل الانبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قدروا عليه؟ بل اختلاف الخلق حكم ضروري أزلي « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك » أفأدعي أن أردّ قضاء الله الذي قضى به في الازل ؟ أو يقدر امامك ان يدعي ذلك ؟ فان كان يدعيه فلم ادخره الى الآن والدنيا طافحة بالاختلافات ؟ وليت شعري أرئيس الامة علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان سبب رفع الاختلافات بين الخلق او سبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبد الدهر؟!

« القول في طريق نجاة الخلق من ظلمات الاختلافات »

فقال : كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : إن اصغوا إليّ رفعت الاختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصغائهم فانهم لم يصغوا بأجمعهم

الى الأنبياء ولا الى امامك فكيف يصفون إليّ وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم في الازل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب « جواب مفصل الخلاف » وهو الفصول الاثني عشر .

فقال : فلو أصغوا كيف كنت تفعل ؟ قلت : كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد » الآية وانما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم .

فقال : فمن هم وكيف علاجهم ؟ قلت الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البُلْهُ وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة : أما الخواص فإني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال إحداها القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلّية لا يمكن كسبها ، والثانية خلو باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث ومسموع فان المقلد لا يصغى والبليد وان أصغى فلا يفهم ، الثالثة أن يعتقد فيّ اني من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلمه منك

والصنف الثاني البُلْه وهم جميع العوام وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحِرَف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكايسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهؤلاء لا يختلفون ولكن يتحيرون بين الائمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولاً فأقول لهم ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال « وماذا عملت في رأس العلم » أي

الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة « اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائبه » فأقول العامي ليس الخوض في الاختلافات من عشك فادرج فاياك أن تخوض فيه أو تصغي اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم (١) ومن أهل الخوض فيه فإياك ثم إياك أن تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري .

فان قال : لا بد من دين أعتقده واعمل به لاصل به الى المغفرة والناس مختلفون في الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أعول عليه ؟ فأقول له للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيها أما الأصول فليس عليك أن لا تعتقد فيها إلا ما في القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثله شيء الى جميع ما ورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل آمنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي المماثلة واعتقاد انه ليس كمثله شيء وبعد هذا لا تلتفت الى القيل والقال فانك غير مأمور به ولا هو على حد طاقتك . فان أخذ يتعذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لا أعلم انه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الأشعرية والمعتزلة ، فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فسأذكر علاجهم .

هذا ما أعظ به في الأصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهؤلاء أهل الحوالة على الكتاب

وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على ان زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب

(١) يريد العلم بأصول العقائد والاحكام ومذاهب الخلاف فيها

الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف . فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدلي وليس بعامي ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رفقاءك قد فرغوا من جميع هذا ثم أخذ إشكال الخلاف بمخنقهم ؟ هيهات ما أشبه ضعف عقولهم في خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو يقول قد اختلفت الاطباء في بعض الادوية انها حارة أو باردة وربما افتقرت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يطلعني ويفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها . وقال : ها أنا ذا تشكل علي مسائل فاني لا أدري اتوضأ من اللمس والقيء والرعاف وانوي الصوم بالليل في رمضان أو بالنهار الى غير ذلك . فأقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجبه يستحبه وأنو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجبه يستحبه . فان قال هو ذا يثقل علي الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال لا أدري أأقنت في الصبح ام لا وأجهر بالتسمية ام لا فاقول الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه أغلب على قلبك كما لو كنت مريضا وفي البلد اطباء فانك تختار بعض الاطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد في أمر دينك فمن غلب على ظنك انه الأفضل فاتبعه (١) فمن أصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك أجر واحد وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فاخطأ فله اجر واحد » ورد الله تعالى الأمر الى أهل الاجتهاد وقال تعالى « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لأهله اذ قال رسول الله صلى

(١) ليس هذا امرا بالتقليد الذي ابطله سابقا ولاحقا وانما هو امر بنوع من الاجتهاد لشخص لا يكاد يوجد على فرض وجوده فقد امره اولا ان يجتهد في نفسه ثم في الائمة الذين اشتبه في أي اقوالهم في تلك المسائل ارجح وان يأخذ بقول من رأى قوله اصوب ولا يكون ذلك الا بعد النظر في دليله . غاية الامر ان اجتهاده لا يكون مطلقا بل منتسبا الى من رجح دليله

الله عليه وسلم لمعاذ « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله قال « فان لم تجد ؟ » قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فان لم تجد ؟ » قال أجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضاه رسولُ الله » ففهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وغيره كما قال الاعرابي اني هلكت واهلكت واقمت اهلي في نهار رمضان فقال « أعتق رقبة » ففهم ان التركي أو الهندي لو جامع أيضا لزمه الإعتاق وهذا لأن الخلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليفَ بما لا يطاق بل كلفوا ما يظنونه صوابا كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في اثناء الصلاة لما انبأه جبريل أن عليه قذرا ولم يعد الصلاة ولم يستأنف وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد ولم يكلفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاة في سفك الدماء واباحة الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقهم واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد !

وليت شعري ماذا يقول رفقاؤك في هذا ؟ أيقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله أو يكلفه الاصابة التي لا يطيقها أو يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح ؟ قال لا شك في انه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذا بذل كنه مجهوده وان اخطأ أو صلى الى غير القبلة

قلت فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذورا مأجورا فلا يبعد ان يكون من اخطأ في سائر الاجتهادات معذورا فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فمناصبهم متقاربة وليس لهم

ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلفا في الاجتهاد فحقهما ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف إلا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على انه ان اخطأ كان معذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من نقيضه بعد كونه مظنونا في سر الاستبصار واما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن

وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فاني ادعوهم بالتلطف الى الحق واعني التلطف أن لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادلهم بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول التي يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اوردته في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقيته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجاجه وعناده عالجته بالحديد فإن الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالقسط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم دون اهل الجدل

واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقر لكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فان الغطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر « إن اكثر اهل الجنة البله وان عليين لذوي الالباب » (١) ويخرج من جملة

(١) المنار : رواه البيهقي في الشعب والبزار في مسنده هكذا « أكثر أهل الجنة البله » وهو ضعيف

الفريقين الذين يجادلون في آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن وهؤلاء ينبغي ان يمنعوا من الجدال بالسيف والسنان كما فعل عمر رضي الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكما قال مالك رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء حق والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة. وحسم بذلك باب الجدال وكذلك فعل السلف كلهم . وفي فتح باب الجدال ضرر عظيم على عباد الله تعالى

فهذا مذهبي في دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بأن دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير أعيان لانهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم فمعه الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيراً لا نهاية له ولولا اشتمال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نورا لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهو نعت الميزان ولما صدق قوله «ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين . » فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لا نهاية لها فبهذا ادعو الخواص . ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى . ودعوت أهل الجدال بالمجادلة التي هي أحسن فمن أبى أعرضت عن مخاطبته وكففت شره ببأس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعري الآن يا رفيقي بمَ يعالج أمامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ؟ أيعلم العوام فيكلفهم مالا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج الجدال من أدمغة المجادلين بالمحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار ؟ فما أعظم قدرة امامك إذ صار أقدر من الله تعالى ومن رسوله !! أو يدعو أهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعبانا بل يقولون هو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر

والطلسمات ماتتحير فيه العقول ولايقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة أنواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة ومن الذي يقوي على ذلك ؟ بل أهل البصيرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق أستاذه في قوله اني حاسب فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يقنع أولوا الالباب وأهل البصائر ولا يقنعون بغيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فمن أين يحتاجون الى امامك المعصوم؟ وما الذي حل من اشكالات الدين؟ وماذا كشف عن غوامضه ؟ قال الله تعالى «هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » وقد سمعت الآن منهاجي في موازين العلوم فأرني ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وماذا الذي يتعلمون منه ؟ وليت شعري ما الذي تعلمت من امامك المعصوم أرني ما رأيتها :

مايسدي بي رتسدي أوف خر ابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب لإمامك بعد الاستجابة على جهل الذي كان قبله لم يحل له الامام عقدا بل ربما عقد له حلا ولم تفده استجابته [illegible] بل ربما زاد به طغيانا وجهلا

قال : قد طالت صحبتي مع رفقائي ولكن ما تعلمت منهم شيئا الا انهم يقولون عليك بمذهب التعليم واياك والرأي والقياس فانه متعارض مختلف. قلت: فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لايشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتموني الى التعليم فاستجيب فعلموني ماعندكم فقال: ماأراهم يزيدونني على هذا شيئا . قلت: فإني قائل أيضا بالتعليم و بالامام و ببطلان الرأي والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أطقت ترك التقليد تعليم غرائب العلوم وأسرار القرآن فأستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ماأشرت الى كيفية انشعاب العلوم كلها منه في كتاب

جواهر القرآن لكني لست أدعو الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب سوى القرآن فمنه أستخرج جميع أسرار العلوم و برهاني على ذلك لساني و بياني ، وعليك إن شككت تجربتي وامتحاني ، أفتراني أولى بأن يتعلم مني من رفقائك أم لا ؟ اه المراد منه